نظرات اجتماعية

في العلائق الجنسية

لطبير بقطر

قيل ان الله خلق الرجل واطمأن الى ذلك ، ولم يخطر على باله أن يصنع له شريكة في الحياة ، حتى غافله الشيطان وخلق المرأة . وعلى هذا يكون الرجل من صنع الله والمرأة من صنع الشيطان

غير ان هناك رواية اخرى صاغها احد علماء الاجتماع [1] في قالب من الدعابة والفكاهة ، ولكنهُ ضمّنها حقائق ملموسة ، وختمها بدروس ومسائل غاية في خطر الشأن وهي ان الاله « توشترى » عند ما وطّد العزم على صنع المرأة ، وجد ان المواد العلبة ، والعناصر الاولية ، التي خلق منها الرجل ، قد استنفدت برمتها . وبعد صمت طويل وتفكير عميق ، خطر بباله حلٌّ أخرجه من هذا المأزق ، وهو انهُ اتخذ من القمر استدارتهُ ، ومن الدّببات ليونتها ، ومن النباتات المتعرّشة التصاقها ومن الحشائش الخُضْر اهتزازها ، ومن عيدان القصب اعتدالها

واتخذ من اكمام الزهور تفتّحها ، ومن اوراق الاشجار خفّتها ، ومن اشعة الشمس ضياءها ، ومن نظرات الغزلان سحرها ، ومن خلايا النحل تقاربها ، ومن قطرات العسل حلاوتها ، ومن النار توهجها

واتخذ من خرطوم الفيل انحرافه ، ومن سحاب السماء بكاءه ومن هبوب النسيم علّته

واتخذ من الريح تقلّبه ، ومن الارنب جبنه ، ومن الطاووس زهوه ومن سدر البيداء نعومته ، ومن المآس صلابته ، ومن الثمر قسوته ، ومن الثلج برودته

واتخذ من ابي زريق (طائر) ثرثرته ، ومن الحمام هديلهُ ، ومن الكركي ذبذبته ، ومن الشكراكي وفاءهُ ، أخذ هذه كلها ودقها دقّا ، وطحنها طحناً ، وعجنها عجناً ، وصنع منها المرأة ، وأهداها الى الرجل

وعاد الرجل بعد اسبوع يشكو للآله امره وخرّ على ركبتيه ساجداً ، وهو يقول : أي ربّي !! ان هذه المخلوقة التي اهديتنيها قلبت نعيمي بؤساً ، وجعلت حياتي شقاء . وهي لا تكف ثرثرة لحظة

(1) F. W. Bain, "A Digit of the Moon"

واحدة ، ولا تدعي دقيقة أخلو فيها بنفسي . وتستغرق كل اوقاتي . تضايقني فوق ما استطيع احتماله ، وتريد ان يوجَّه اليها كل انتباهي . تبكي من لاشيء . وتلهو بغير انقطاع .... لهذا جئت بها اليك يا ربي ، لان العيش معها أمر لا يطاق

فقال الاله : حسناً !! وأخذ مخلوقته الجديدة ...

وعاد الرجل بعد اسبوع آخر ، وخرّ على ركبتيه ساجداً ، وهو يقول : ربي !! منذ ان فارقت المخلوقة الجديدة ، قد استحال أنسي وحشة ، وانقلب سروري حزناً ، وايناسي وحدة : وليس لعيشي بغيرها من سبيل . فكم كانت ترقص لي وتنشد ، وتغرّد وتغني ، وترمقني من طرف عينيها الساحرتين ! وكم كانت تلعب معي ، وتعلق بي ! وكانت بسماتها ربيعاً اذا ابتسمت ، وكان ضحكها موسيقى اذا ضحكت ! ما اجملها كانت اذا نظرت اليها ، وانعمها اذا مسّتها !! اي ربي ! اردها اليَّ

فقال الاله : حسناً !! ها كها ...

ولم يغب الرجل سوى ثلاثة ايام وعاد ثانية الى الاله وخرّ على ركبتيه ساجداً وهو يقول : اي ربي ! لست ادري... لقد عدت الى رشدي ، وايقنت ان هذه المخلوقة اشدّ وبالاً عليَّ ، منها اسعاداً لحياتي فخذها ....

فحنق الاله واشتدّ غضبه على الرجل واعلظ له الكلام قائلاً : — تبّاً لك .... اليك عني !! ليكن هذا آخر ما اسمعهُ منك من الشكوى ...

سرّف امورك تصريفاً يناسب مقتضى الحال ...

فقال الرجل : ربي ! لستُ استطيع العيش معها

فأجابه الاله : ولستَ تستطيعه بغيرها .... وأدار ظهره الى الرجل ، ومضى في عمله ....

فذهب الرجل يضرب اخماساً على أسداس ، وهو يردد القول : لست استطيع العيش معها ولست استطيعه بغيرها ... فما العمل ؟ ...

***

يُعزى كثير من العادات والتقاليد ، التي تقدسها الشعوب والقبائل ، وتحافظ عليها بأرواح أبنائها ، الى وجوه الاختلاف بين الرجل والمرأة ، على تفاهتها . وقد كانت الفروق الجنسية منذ الخليقة الى يومنا هذا ، قوة فعالة في سن الشرائع ووضع القوانين ومراعاة العرف والتفريق بين مبادىء السلوك والآداب العامة واستهجان بعضها وتسميتهُ رذائل واستحسان البعض الآخر وتسميتهُ فضائل ، وكانت سبباً في وجود طائفة من الطقوس والتقاليد القومية والشعبية والطائفية والدينية

والمرأة لغز لم يستطع الرجل الى اليوم حلّ طلاسمه . وهي آخر ما يتسنى له فهمه في الحياة . والسعادة الزوجية لا تتطلب حتماً فهم الرجل عقلية زوجه ، بل تفرض توافر الحلم والتسامح عندها

ويقول علماء الاجتماع ان في تاريخ الجنسين يتمثل قانون من أهم القوانين الطبيعية وأعظمها شأناً . وهو قانون التجاذب والتنافر . ألا ترى الطبيعة الانسانية قد اودعت في الجنسين من قوة الجاذبية ما لا يستطاع الفرار منه ، كما انها اوجدت بينهما من اسباب العزلة والتنافر ، في احوال خاصة ، ما لا يتسنى اغفاله ؟ ألا ترى في الرجل والمرأة الحب والبغضاء والتجاذب والتنافر ، القرب والبعد الاباحة والمنع ؟ ألا ترى ان الصفة لواحدة متممة للاخرى ؟

وقبل ان نبدأ في تتبع بعض العادات المعروفة وندرس كيف نشأت ، وكيف ان العلاقات الجنسية كانت من أهم العوامل التي دعت الى توطيد دعائم هذه العادات — قبل هذا ينبغي ان نسارع لنفي عقيدة شائعة بخصوص الآداب الجنسية عند الامم الهمجية والقبائل الفطرية . ليس ثمة ما يستدل منهُ على ان الاباحية كانت تغلب على الشعوب القديمة في الازمان الغابرة . وليس ثمة ما يستدل منه على ان للاباحية اثراً في اي بلد من بلدان العالم اليوم ، حتى بين القبائل البربرية التي لا تزال تعيش عيشة الفطرة ، البريئة من شوائب المدنية ، وصقال التهذيب الذي يضفي على الناس عادة ثياباً من الرياء والتصنع . واذا كان هناك من شيء فان الامم المتأخرة والقبائل المتوحشة والبدائية نصف المتمدينة اكثر محافظة على حرمة مبادئها الجنسية ، واشد اباء وأعف نفساً واكثر اعتدالاً ، في علاقاتها النسائية ، منهم بالشعوب المتمدينة المتحضرة

ومن اسباب الامتناع والاعتدال عند الشعوب الهمجية الخوف من الضعف ، لانهم يظنون ان التهور الذي يعقب عملية الجماع ، الناشيء عن زيادة ضغط الدم ، ضعف مستديم . ولما كان فخر الشاب قوته ، فان رجالهم يحرصون على السائل المنوي كل الحرص لاعتقادهم انهُ الينبوع الذي يستمد منه الجسم تلك القوة . ومع جهلهم بعلم وظائف الانسان فانهم يعتقدون ان قوة الرجل في خصيتيه . ولا غرابة في ذلك فان بعض المتأخرين من فلاحي اوربا الى اليوم يصفون السائل المنوي دواء لشفاء بعض الامراض ، وتقوية الاعصاب . ولا تزال القبائل الهمجية في كثير من انحاء العالم اليوم تحافظ على عاداتها القديمة في الحروب ، فتحرم على الجنود الاقتراب من النساء قبل الحرب بمدة معلومة وفي اثنائها وبعدها بزمن معلوم . وكان بنو اسرائيل يحتمون على الجند ان يطهروا انفسهم قبل النزول الى ميدان الحرب ، حتى بعد الاستحلام . ولا تزال القبائل الاسترالية تشرب ذكورها بول الاناث ، وتشرب اناثها بول الذكور شفاء للامراض

ويتضح مما سبق ان من أهم أسباب العفة والاعتدال في العلائق الجنسية ، وابتعاد الرجال عن النساء بقدر الامكان عند الامم الهمجية ، المحافظة على القوة والرجولة بكل معانيها فيما يتعلق بالرجال ، وصون الطراوة واللين والانوثة بكل معانيها فيما يختص بالنساء

ومن هذه الاسباب ايضاً الخرافات والاباطيل التي تحوم حول المرأة وكل ما يتعلق بالمسائل الجنسية كما تحوم الخرافات والخزعبلات حول الظاهرات الجوية والطبيعية كالرعد والبرق والنيازك

والنكوا ك . ولا يخفى ان الهمجيّ يفسّر هذه الظاهرات تفسيراً يتفق وعقليته . وما يقال في هذه يقال في اعضاء التناسل والمرأة وكل ما يتعلق بها وقد ذكر كرولى ان في متحف Für Völkerkunde يوجد حفر على لوح من الخشب من بريطانيا الجديدة يمثّل عضواً يجرّ شيئاً من عضو التناسل للمرأة ، دليلاً على اعتقاد سكان تلك البلاد من ان الحيض عند المرأة ينشأ من لدغ ثعبان او نقر عصفور . وفي المتحف عينه اثر آخر من غينيا الجديدة يمثّل تمساحاً يقبض بكفيه على رأس امرأة ، وتمساحاً آخر يحاول ايلاج خرطومه في فرجها . ويفسّر بعضهم الاستحلام عند الرجال بقولهم ان روحاً شريرة ما « عفريتاً » انثى تضاجع المستحلم ليلاً ، كما انهم يفسرونهُ عند الاناث بقولهم ان عفريتاً ذكراً يضاجع المرأة فتستحلم

ويمتد هذا الاعتقاد الى امر أبعد في حالة حمل الفتاة العذراء ، غير المتزوجة ، بكراً كانت أم ثيّباً ، لانهم يزعمون في هذه الحالة ان روحاً شريراً انقضّ عليها في الاجمة وقضى معها لمبانته قسراً . ومتى « ثبت » ذلك نجت من طائلة العقاب

وتبلغ هذه الخرافات احياناً درجة الجنون . ففي بعض الجزر التي لا يزال اهلها على فطرة الانسان الاول لا تأكل المرأة مع زوجها ابداً بأية حال من الاحوال منعاً للارواح الشريرة . ولا يبعد ان تكون هذه الارواح منشأ العادة المعروفة في بلادنا وما جاورها الى اليوم ، وهي عزل الرجال عن النساء عند تناول الطعام . وفي جزائر الكارولين لا تمنع المرأة من مجالسة الرجال اثناء تناول الطعام الاّ متى كانت حبلى . غير ان سكان جزائر فيجي يمنعون المرأة من خدمة زوجها على المائدة وهي حامل

والاصل في عادة اطلاق الرصاص من البنادق قبيل الزفاف ارهاب الارواح النجسة ، وابعاد الخطر الذي يتهدد الرجل بقدوم المرأة . ويذكر القراء ان هذه العادة لا تزال متبعة في الريف المصري . وليس هذا بالامر الغريب فان آثارها لم تعفُ من اوربا . ومنذ عهد ليس ببعيد كان يطلق الرصاص على رأس المرأة الانكليزية اثر خروجها من الكنيسة عقب حفلة الزفاف المقدسة ، في مقاطعتي درهام وكيلفند في شمالي انكلترا

واذا استثنينا البلدان والامم المتمدينة فان الزواج يعقد ليلاً عادة . وفي مصر لا يعقد الزواج نهاراً الاّ في الاوساط التي تميل الى التقاليد الاوربية ومنشأ هذه العادة السبب عينه ، وهو ما يساور الناس من المخاوف والاوهام التي تحوم حول المرأة . ولا يقتصر الهمجيون الى اليوم على التزوج ليلاً ، بل يحملون — في بعض البلدان — العروس الى منزل العريس في سلة حتى لا يراها الغير . وأشار المؤرخ فليطرخس الى ان هذه العادة كانت معروفة عند قدماء الرومان . وتخفي بعض القبائل العروس ليلة الزفاف في منزل حالك الظلام ، ويبعث العريس وراءها يتلمس طريقهُ في الظلماء بحثاً عنها ، ولا تتم عملية الزواج حتى تقع يداه عليها . ومن ابدع ما يقوله علماء الاجتماع تعليقاً على هذه العادة الظريفة انها تتفق والطبيعة تمام الاتفاق ، لان التوالد في النبات يقع ليلاً ويظهر للعلا نهاراً

ومن اسباب الاعتدال في العلائق الجنسية عند المتمدنين التفاخر على الغير والتباهي بالحياء استدلالاً على الرجولة والمقدرة على اخضاع الشهوات ، وعدم الاستسلام لها ومن عادات أهل فيجي انهُ لا يعدّ حسناً ان ينام الرجل وزوجه تحت سقف واحد . فاذا ما أرادا ذلك ضرب معها موعداً rendez-vous للّقاء في اعماق الغابة في مكان لا يعرفه الاّ هما . ومن الغريب ان ما يقرب من هذه العادة معروف بين فئة قليلة جداً في اميركا اليوم حيث يتفق الزوجان ان يكون لكل منهما منزله الخاص ، ويدعو احدهما الآخر لتناول العشاء ، فيلبّي الدعوة اذا كان غير مرتبط بموعد آخر ، ويقوم الزوج الآخر بدوره بدعوة الاول ، وهكذا تبلغ الحرية الزوجية هذا الحدّ المتطرف

ومن العيوب القبيحة عند الهنود الحمر في شمال اميركا ان يزور الرجل مضجع امرأته او ينظر الى سريرها نهاراً . وفي غربي افريقيا اذا عثر احدهم على رجل وزوجه في حالة الجماع يصبح الاثنان صيده . وهذا يفسر لنا أصل الحذر والحشمة عند المتمدنين فيما يتعلق بالمسائل الجنسية . ومن المشاهد ان الصراحة في الكلام عن هذه المسائل من ثمار المدنية الحديثة ، ففي بعض البلدان ينتحر الرجل او المرأة اذا علم احدهما ان آخر سمعهما يتلفظان باسماء اعضاء التناسل او ما يتعلق بها ، في حين ان المرأة المتمدينة لا تستحي ان تناقش رجلاً في موضوع علمي او اجتماعي وان استدعى ذلك ذكر الفاظ يستحي منها غير المتمدين

وقد حكى لي نوبيٌّ ان الكثيرين من ابناء وطنه المشتغلين في القاهرة وغيرها من مدن القطر ، يرحلون الى قراهم لزيارة زوجاتهم واولادهم ، ولكنهم لا يخاطبون زوجاتهم او يدخلون عليهن قبل مرور اسبوع على وجودهم هناك ، استدلالاً على الرجولة والعفة وضبط النفس ، واتباعاً للتقاليد طبعاً . ولا يخفى على الملمين بالعادات الاوربية والاميركية ان سكان تلك البلدان اكثر اظهاراً لعواطفهم الزوجية امام الغير من سكان الشرق الادنى ، وأم الشمال في اوربا اكثر صراحة في اظهار هذه العواطف من أم الجنوب . ففي اوربا يقبل الرجل زوجته امام الغير عند عودتها من سفر ، او يضع يده على كتفها او يضمها اليه ، وهكذا يفعل الصديق مع صديقته ، في حين ان الرجل في مصر لا يظهر شيئاً من هذه العواطف أمام الآخرين ، وقد لا يهز يده بيد امرأته ولو بعد غيبة طويلة ، ألا ترى منشأ هذه العادات ؟

من هذا يتبين ان الاباحية لا تتفق وهذه العادات التي نشأ عليها الانسان غير المتمدين . وربما نستطيع ان نضيف اليها حقيقة جلية ، وهي انه لا يبعد ان يكون الانسان قد اكتشف منذ ألوف من السنين ظاهرة بيولوجية في المرأة ، وهي انها لا تتناسل اذا تركت عرضها متاعاً شائعاً لجميع الرجال ، كما هو المشاهد في المرأة البغيّ التي قلما تخطىء الطبيعة في امرها فترزق ولداً . غاية ما في الامر ان المرأة تستطيع ان تتصل برجلين او ثلاثة او اربعة او اكثر قليلاً ، ومع ذلك تحمل وتلد غير ان العدد اذا زاد قلّ احتمال حملها ، ويشاهد في تاريخ الاسرة الى يومنا هذا ان الطبيعة قد

زودت الرجل بعاطفة الغيرة بقاءً على النسل ، ولا يستثنى من ذلك الاّ تعدد الازواج عند بعض القبائل التي تتزوج فيها المرأة بأكثر من رجل — ما يسمونه باللغة الانكليزية polyandry وهو ما يقابل تعدد الزوجات للرجل الواحد او ما يسمونه polygamy غير ان كلاً من العادتين آخذ في الانقراض . ففي القطر المصري يبلغ المتزوجون اكثر من امرأة واحدة اقل من ٥ ٪ من مجموع المتزوجين . أما المتزوجون من امرأتين فتبلغ النسبة فيهم ٣ و ٪ . والمتزوجون من ثلاث نسوة ٠٣و٪ . والمتزوجون من اربع نسوة ٠٠٠ ٪ وفي بلاد الهند متوسط نسبة المتزوجين بأكثر من واحدة ٥ ٪ ، وفي بلاد التبرس ٢ ٪ . أما زواج المرأة بأربعة رجال او اكثر فلا يوجد الاّ في بعض الجزر ، وقد يكون مثل هذا الزواج في صورة اخرى وهي ان يتزوج خمسة رجال مثلاً خمس نساء ويكون كل رجل منهم زوجاً لكل من النساء الخمس ، وتكون كل امرأة زوجة لكل من الرجال الخمسة . ولا يخفى ان هذا لا يمكن تسميته أباحية ؛ لانه زواج مشروع جرى به العرف

ومهما ذكرنا من التقاليد الغريبة غير المستحبة في مسائل الزواج عند الامم والقبائل المنحطة فاننا لا نستطيع ان نحكم عليها بالاباحية . نجد مثلاً بين أهالي الكنغو والزولو والكفرة عادة غريبة يلجأون اليها عند الاحتفال بالبنات initiation متى بلغن سن المراهقة . وذلك انهم يطلقون لهنّ الحرية للاتصال بمن يشأن من الرجال . ويجمعون احياناً ١٥ او ٢٠ بنتاً في منزل واحد ، فيقبل المدعوون من شبان القرية للدخول عليهنّ . وأشيد ما قلته ، وهو ان نية هؤلاء القوم لا تنصرف في هذه العادة الى الفسق او الفجور ؛ بل الى عادة تكاد تكون دينية ، الغرض منها تطهير البالغات من الارواح الشريرة التي تحلّ بهنّ ببلوغهنّ سن المراهقة ، ولو انها تؤول في النهاية طبعاً الى استمتاع بين هؤلاء وأولئك

ومن هذه العادات الغريبة ان في بعض الجزر يتخذ العريس صديقاً (وهو كالشبين) او صديقين او اربعة اصدقاء قبيل عقد الزواج ، وتنحصر مهمة هؤلاء في فضّ بكارة الزوجة اولاً ، والاستمتاع بها ثانياً قبل ان تقدم للزوج ، تطهيراً لها . وفي أحيان اخرى يقوم احد رجال الدين بهذه الوظيفة فيقضي ليلة او اكثر مع العروس ، ويزفها بعد ذلك عروساً طاهراً . ولا يرى في هذه العادة اهل تلك الاصقاع عاراً او فضيحة . ولا يبعد ان تكون عادة «الدخلة» التي تعد وصمة في جبين مصر (لانها لا تزال باقية بين الطبقة السفلى وبعض افراد المتوسطة) من بقايا هذه العادة غير المعروفة في سوريا او فلسطين او العراق

غير ان في جزائر الهند الشرقية نوعاً من الاباحية ، وهي ان الصغار قبل سن البلوغ ، والشبان او الفتيات قبل الزواج يجوز لهم ان يتصل ذكورهم بأناثهم اتصالاً جنسيًّا الى ان يتزوجوا ، ولو كان بينهم قرابة تمنع التزوج . اي ان الزنا هنالك جائز شرعاً للاعزب ، فتى كان او فتاة ، محرّم على المتزوج

ومن انواع الاباحية ما هو شائع في بعض بلدان آسيا ، وهو ان يُعير رجل امرأته لصديق او ضيف ، قياماً بواجب الصداقة او ردّاً للمعروف ، او اكراماً للضيف ، بشرط ألا تكون المرأة حرماً محرّماً (كالاخت والعمة والخالة الخ) طبقاً لقوانين البلد

ومن هذه العادات تبادل الزوجات في الولائم والافراح وان كانت المرأة حرماً محرماً بالنسبة للرجل . ومن الغريب ان مثل هذه العادة معروفة في بعض البلاد المتمدينة بين طبقات شاذة من اولئك الذين يعيشون كما كان يعيش الرومان في زمانهم ، فلا يعبأون في حياتهم الا بعاقرة بنت الحان والرقص والاستسلام لشهواتهم في شتى الطرق والاساليب الشيطانية

***

وقد كان للاعتقادات والاباطيل التي سادت على مدى الاجيال بخصوص المرأة السبب الاكبر في التضييق على حريتها ، ومطالبتها باكثر ما يطالب به الرجل من الحياء وصون العرض ، وعدم المساواة بينها وبينه . ويعتقد بعض الهنود الى اليوم ان الطفل يرث الجسم عن امه ويرث الروح عن ابيه ، والجسم عند الهنود على الاخص لا قيمة له في جانب الروح . وذكر العالم الاجتماعي وسترمرك Westermarck ان المغاربة في جبال الاطلس يحتّمون على نسائهم استعمال الاعداد المغربية القديمة ، ويحظرون عليهن الاعداد العربية الحديثة ، لانها ميزة يختص بها الرجال دون النساء . وفي بعض البلدان الوثنية يحرم على المرأة الصلاة الى الآلهة الذكور ، فتتقنع بالآلهة الاناث والغرض من هذه العادة الاشارة الى علو منزلة الرجل على المرأة اولاً ، وغيرة الرجل على المرأة ، وخشية ان تطارح الآلهة الغرام فيما اذا كانوا ذكوراً

وفي مدينة سيول بكوريا يقرع ناقوس الساعة الثامنة مساء ، فيختفي الرجال من شوارعها و أزقتها وتظهر النساء ، فيمررن في المدينة الى الساعة الثالثة صباحاً حينما يقرع ناقوس آخر ، فتحتجب النساء ويفسح المجال للرجال

واذا نظرنا الى الخرافات والعادات السالفة الذكر ، على غرابة بعضها ، وهمجية بعضها ، فانا نجد انها حافظت على الاسرة ومنعت شر الاباحية والعبث بالاعراض وارثنا بالاقارب والتزاوج بين المحارم وساعدت على ان يكون احب ما لدى الرجل المرأة التي بلغت اقصى ما تكون من الانوثة ، وأحب ما لدى المرأة الرجل الذي بلغ اقصى ما يكون من الرجولة

ولا يغيب عن اذهاننا ان تحريم الزواج بالاقارب المقربين exogamy امر حديث العهد ، وليس من طبيعة البشر ان يمتنعوا عن زواج اخواتهم او بناتهم كما يظن العامة . وما هذا الامتناع الا عادة مكتسبة . فقد كان قدماء المصريين يتزوجون من اخواتهم ، ولا تزال بعض الامم تحرّم على الرجل النظر الى بنته او رؤيتها بعد سن البلوغ ، ويحرّم على المرأة كذلك ان تكشف وجهها امام ابنها او تنظر اليه بعد بلوغ تلك السن كما هو الحال في جزيرة سيلان . وما نسمعه احياناً من اتصال

شاب بأخته او رجل بنته الحسناء اتصالاً جنسيًّا بغريب ، فان في اللغات الاوربية كلمة خاصة بهذه الحالة ويسمونها بالانكليزية incest

ومبدأ تحريم التزاوج بين الاقارب الاعتقاد بأن اولئك الذين يأكلون من طعام واحد يحل بهم النحس وسوء الطالع اذا ما تزاوجوا بعضهم من بعض ، ولعل هذا الاصل في تحريم الزواج بين الاخ والاخت في الرضاع . وبهذه المناسبة نقول ان عادة الصلاة القصيرة قبل تناول الطعام عند بعض المسيحيين ، او رسم علامة الصليب عند البعض الآخر او قولهم « بسم الله الرحمن الرحيم » عند المسلمين ، ترجع الى الاعتقاد القديم عند الهمجيين ، من ان هناك اقوالاً ينبغي تلاوتها قبل الاكل طرداً للارواح النجسة

ومن غريب الصدف ان يفكر الهمجيون في تحريم الزواج عند الاتحاد في الجسم communsality والدم consanguinity قبل ان تظهر النظرية البيولوجية المشهورة التي تقول ان الذرية تضعف اذا لم تتسع الدائرة التي يحدث فيها التزاوج ، لان وجوه الضعف في رجل وامرأة من اسرة واحدة تظهر بوضوح في ذريتهما فاذا ما تزوج ابناها مثلاً من بنت من هذه الاسرة كانت وجوه الضعف اكثر وضوحاً . وهذا يعزز ما يقوله العلماء من ان خرافات الجهلاء والعامة قد تسبق مكتشفات العلماء

غير ان التزوج من الاقارب مختلف فيه . ففي مصر والبلدان الاسلامية يحرم على الرجل زواج اخواته وبنات الاخوة والاخوات ، ويجوز له التزوج من بنات العم القريب ، في حين ان الشريعة اليهودية تحبز التزويج من بنت الاخت . وفي اوربا واميركا لا يستحب مطلقاً ان يتزوج الرجل من بنت عمه القريب . ولا يجوز له ذلك الاّ اذا اشتد الحب بينهما . ومن الغريب ان في بعض الجزر التزاوج بين اولاد الاعمام او الاخوال endogamy مقيد بهذا القيد ، وهو ان العم لا يجوز له ان يزوج ابنه من بنت اخيه ، ولا يجوز للخالة ان تزوج ابنها من بنت اختها ، ولكن يجوز ان يزوج الخال ابنه من بنت اخته ، او تزوج العمة ابنها من بنت اخيه . والحكمة في ذلك الاّ يكون الزوج والزوجة متسلسلين من جدٍّ ابريٍّ واحد

يقرأ الرجل العادي عن هذه العادات والتقاليد والشرائع والقوانين والخرافات ، حسنة كانت ام قبيحة ، ولا يهمه من امرها سوى انها طرائف يتفكّه بها في اوقات الفراغ ، ولا يسترعي نظره فيها سوى انها أحاج تصلح حديثاً لفائدة وتسلية لقائلها وسامعيه غير ان الذين يراقبون حوادث المجتمع بنظار هذه العادات وتاريخ نشأتها وكيفية تطوّرها لا يسعهم الاّ سعة الصدر والتسامح واحترام التقاليد بين الامم الاخرى التي تخالفنا مبادىء وعقائد وآداب عامة . ولا يسعهم الاّ نبذ التعصب ، وقبول الآراء الجديدة اذا ما اتضح صلاحها ، والقاء الآراء القديمة اذا ما اتضح بطلانها . ولا يسعهم الاّ التنازل عن مبادىء طالما كانوا يتدينونها ، وعادات طالما كانوا يعبدونها ، وتقاليد طالما تمكنت من نفوسهم فلا يستطيعون الافلات منها ، ولا يسعهم الاّ التأمل والتفكير في مشاهدات العادات